

الفصل في الملل والأهواء والنحل

خلقه ويقال لهم إذ لم تجدوا فاعلا في الشاهد إلا جسما ولا عالما إلا بعلم هو غيره ولا حيا إلا بحياة هي عرض فيه ولا مخبرا عنه إلا جسما أو عرضا وما لم يكن كذلك فهو معدوم ولا يتوهم ولا يعقل ثم رأيتم الباري تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم فقد وجب ضرورة أن لا يحكم عليه تعالى بالحكم علينا في أن يسمى من افعاله ولا في أن ينسب إليه كما ينسب إلينا بلا خلاف ذلك بالبرهان الضروري وهو أن \square خلق كل ما خلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة في غيره فهكذا هو فعل \square تعالى فيما خلق وأما فعل عباده لما فعلوا فإنما معناه أنه ظهر ذلك الفعل عرضا محمولا في فاعله لأنه إما حركة في متحرك وإما سكون في ساكن أو اعتقاد في معتقد أو فكر في متفكر أو إرادة في مرید ولا مزيد فبين الأمرين بون بائن لا يخفى على من له أقل فهم وأما المدح والذم واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو أنه لا يستحق أحد مدحا ولا ذما إلا من مدحه \square تعالى أو ذمه وقد أمرنا \square تعالى بحمده والثناء عليه فهو D محمود على كل ما فعله محبوب لذلك وأما من دونه تعالى فمن حمد \square تعالى فعله الذي أظهره فيه فهو ممدوح محمود ومن ذم D فعله الذي أظهره فيه فهو مذموم ولا مزيد وبرهان هذا إجماع أهل الإسلام على أنه لا يستحق الحمد والمدح إلا من أطاع \square D ولا يستحق الذم إلا من عصاه وقد يكون المرء مطيعا محمودا اليوم ممدوحا بفعله أن فعله اليوم وكافرا مذموما به أن فعله غدا كالحج في أشهر الحج وفي غير أشهر الحج ولصوم يوم الفطر والأضحى وصوم رمضان وكالصلاة في الوقت وقبل الوقت وبعد الوقت وكسائر الشرائع كلها وقد وجدنا فاعلا للكذب قائلًا له وفاعلا للكفر قائلًا به وهما غير مذمومين ولا يسمى واحد منهما كاذبا ولا كافرا وهما الحاكي والمكره فيبطل ما ظنت المعتزلة من أنه كل من فعل الكذب فهو كاذب ومن فعل الكفر فهو كافر ومن فعل الظلم فهو ظالم وضح أنه لا يكون كاذبا ولا كافرا ولا ظالما إلا من سماه \square تعالى كافرا وكاذبا وظالما وأنه لا كفر ولا ظلم ولا كذب إلا ما سماه \square كفرا وكذبا وظلما وضح بالضرورة التي لا محيد عنها أنه ليس في العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولا مذموم لعينه ولا كفر لعينه ولا ظلم لعينه وأما ما لا يقع عليه اسم طاعة ولا معصية ولا حكمها وهو \square تعالى فلا يجوز أن يوقع عليه مدح ولا حمد ولا ذم إلا بنص من قبله فنحمده كما أمرنا أن نقول الحمد \square رب العالمين وأما من دونه ممن لا طاعة تلزمه ولا معصية كالحيوان من غير الملائكة والجن والإنس والجن والجمادات فلا يستحق حمدا ولا ذما لأن \square لم يأمر بذلك فيها فإن وجد له تعالى أمر بمدح شيء منها أو ذمه وجب الوقوف عند أمره تعالى كأمره تعالى بمدح الكعبة والمدينة

والحجر الأسود وشهر رمضان والصلاة وغير ذلك وكأمره تعالى بدم الخمر والخنزير والميتة
والكنيسة والكفر والكذب وما أشبه ذلك وأما ما عدا هذين القسمين فلا حمد ولا ذم وأما
اشتقاق اسم الفاعل من فعله فكذلك أيضا ولا فرق وليس لأحد أن يسمى شيئا إلا بما أباحه الله
تعالى في الشريعة أو في اللغة التي أمرنا بالتخاطب بها وقد وجدناه تعالى أخبرنا بأن له
كيدا ومكرا ويمكر ويكيد ويستهزئ وينسى من نسيه وهذا لا تدفعه المعتزلة ولو دفعته لكفرت
لردها نص القرآن وهم مجمعون معنا على أنه لا يسمى باسم مشتق